

مفهوم الخوف عند الصحابة رضي الله عنهم

د. هاجر الطيب الطاهر عمران
كلية الآداب بالزاوية - جامعة الزاوية

ملخص البحث:

كانت حياة الصحابة حياة طهر ونقاء، سلوكهم فيها كان قائماً على التقشف والزهد والرضا ومجاهدة النفس، وللوصول إلى قلب نقي مملوء بالخوف والخشية، وحب الله عز وجل، وللوصول لنفس طاهرة صافية، وروح فاضلة عالية تتمسك بالمعالي، وتترفع عن الدنيا لتقوى صلتها بالله، ويزداد حبها للمولى، كان لابد لها أن تتقى الله وتخافه، وفي نفس الوقت الذي تنظر فيه هذه النفس إلى الحياة الدنيوية ومتعتها ومغرياتها على أنها أمور فانية، فكان خوفهم يهدف إلى غاية ذات جنة ونعيم، لا خوف ويأس وقنوط من رحمته، بل خوف يقرب العبد من ربه، ويدفع به إلى التفكير في القرآن وآياته وتدبر معانيه بصورة أدق وأوفى، فكان أول خوفهم تقوى الجوارح، أي القيام بالحق وترك المعاصي، ثم تقوى الضمير، أداء الفرائض وجميع أعمال الطاعات، والمرء إذا خاف الله تورع. إن خوف الصحابة رضوان الله عليهم كان خوفاً نابغاً من تقواهم، فهو حال تولد بداخلهم، فجعلوا منه حياة عملية تمارس فيها اتزان واعتدال وموازنة بين أمور الدنيا والآخرة، بمعنى أن الإسلام التزام بمنهج الاتزان والاعتدال بين الترغيب والترهيب حيث بشر الصالحين بالجنة، وأنذر العصاة بالعذاب يوم الحساب، خوفهم ذلك دفعهم إلى عدم الوقوع في مفاتن الحياة الدنيوية والغرور بمفاتها، فالخوف من المعصية والخوف من الموت، والخوف من نار جهنم يدفعهم حتماً إلى التسليم الكامل لإرادة الله.

Research summary

The life of the companions was a life of purity and loyalty, and their behavior in it was based on austerity, promise,

contentment. And self-striving and to reach a pure heart filled with fear and

dread and the love of God almighty .and to reach A pure and pure soul. and a virtuous soul that cling to the sublime .and rises above the world to strengthen its connection with God .His love for the lord .his majesty .increases It was necessary for her to fear God and fear Him. and at the same time that this soul looks at the worldly life and its pleasures and temptation's mortal matters .so their fear was with a goal to an end of paradise and bliss .not fear nor despair. Of His mercy , but rather a fear that brings the Servant closer to his lord. And pushes him to think about The

Quran and its verses are interpreted with meaning in an accurate and fulfilling way ,so their first fear was the piety of the limbs, that is doing the truth and leaving sins then piety of the conscience , performing the duties and all acts of obedience, and if one fears God he will be pious The fear of the companions ,may God be pleased with them ,was fear stems from their piety, as it is a state that was born within them , so they acted as a practical life and practiced balance and endurance in it balancing it between the affairs of the world and the hereafter in the sense that Islam has a commitment to the approach of balance and moderation .between encouragement and

intimidation ,as he preached to the righteous of paradise and warned the sinners of punishment on the Day of judgment their fear prompted them not to fall into the charms of worldly life and vanity with its charms, fear of disobedience, fear of death and fear of hell inevitably lead them to fully submit to the will of God.

المقدمة:

كانت حياة الصحابة رضوان الله عليهم حياة الخوف والرجاء، حياة التهجُّد والبكاء، عُباد رسموا منهج للحياة للمسلم في دينه ودنياه، ومع ربطهم ما بين الحياة الدنيوية والحياة الأخرى، إلا أنَّهم وجدوا في هذه الدنيا طريق لحياة أفضل، وهي الحياة الدائمة الباقية، وكان أساس كل ذلك هو الترهيب والترغيب والخوف من النار والطمع في الجنة، والعقاب والثواب.

فحياة هؤلاء كانت حياة سلوك وعمل، حياة خوف من الله ومجاهدة، وتطبيقاً عملياً لنصوص الشرع والدين، فوازنوا بين دنياهم وأخراهم، لم يَغْتَرُوا بالدنيا حتى نسوا الآخرة، ولم يتعصبوا للآخرة وأهملوا دنياهم فرضي الله عنهم وأرضاهم. فكما دفعهم حبهم للجنة، إلى التمسك بالورع والفقر والعبادة والتسكُّ، دفعهم الخوف أيضاً من النار إلى عدم الوقوع في مفاتن الحياة الدنيوية والغرور بمفاتيحها وزخارفها، فالخوف من المعصية، والخوف من الموت، والخوف من الحساب يوم القيامة، والخوف من نار جهنم فكل هذا دفعهم إلى العزلة والتسليم الكامل لإرادة الله عزَّ وجلَّ.

فكيف كان خوف الصحابة رضوان الله عنهم من الله؟ وما الهدف من وراء هذا الخوف وما قوامه؟

يهدف هذا البحث إلى التأكيد على الأخذ بالقُدوة الصفة -رضي الله عنهم- قولاً وعملاً والذي قال الله فيهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ

فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿سورة الفتح: الآية، 18﴾
الذي قال فيهم: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ
يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور: الآية، 51].

كما يهدف البحث أن تكون أحوالهم - الصحابة - وما حملت من خلق رفيع رادعاً
للمجتمع من الانحراف الخلقي، وحصنه الدائم من الأخلاق المذمومة كالسرقة والرشوة
والظلم.

وانتهجت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، فقامت بتقسيم البحث إلى:

أولاً- تعريف الخوف في اللغة.

أ- الخوف لغةً: يرد الخوف في اللغة بعدة معان:

الخوف لغةً "مأخوذ من الفعل خاف، ومخافة وخيفة توقُّع حلول مكروه، أو فوت
محبوب وجمعه خوف، والخوف أيضاً القتل"⁽¹⁾، لقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ
الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾، [سورة
البقرة: الآية، 155]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾، [سورة الأحزاب: الآية 19].

ب- الخوف اصطلاحاً: للخوف عدّة معان كلها تدور حول محور واحد وهو
الشعور "بالاضطراب وعدم الأمن"⁽²⁾، وعرّفه الغزالي بقوله: "تألم القلب واحتراقه بسبب
توقُّع مكروه"⁽³⁾. وقيل هو اضطراب القلب وحركته من تذكُّر المخوف، وهو هرب
القلب من حلول المكروه عند استشعاره⁽⁴⁾.

يتضح من خلال التعريفات المذكورة أنّ الخوف ينتج عن أمر يعود بالضرر
على الإنسان، والحقيقة أنّ الخوف لا يقتصر على ما سيحدث مستقبلاً، وعلى ما
يحصل في العاجل، ومن هنا أعرف الخوف فأقول: الخوف هو اضطراب القلب
وتألمه نتيجة حدوث مكروه في الحال، أو توقع حدوثه في المستقبل والخروج من
طمأنينة الأمن نتيجة المخوف.

وللخوف أهمية كبيرة في تقويم سلوك المسلم لذلك تكلم فيه الكثير من الصحابة والتابعين وأورد كلامهم العديد من الأئمة والعلماء. ومن خلال حديثهم عن الخوف تبين أهمية هذه العبادة في حياة المسلم وفي هذا الصدد ما ورد:

قال الغزالي: "الخوف حجاب بين العبد وربّه، لأنّ الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقُّع مكروه في المستقبل" وقال القشيري: "الخوف والرجاء على النفوس لئلا تخرج إلى رعونتها"⁽⁵⁾. وقال أبو سليمان الدارمي: ما فارق الخوف قلباً إلا خرب⁽⁶⁾، وقيل لعامر بن قيس: "إنّك تبيت خارجاً ألا تخاف الأسد؟ قال إنّي لاستحي من ربي أن أخاف شيئاً دونه"⁽⁷⁾.

وقال أبو القاسم الحكيم: "الخوف على ضربين رهبة وخشية، فصاحب الرهبة يلتجئ إلى الهرب وصاحب الخشية يلتجئ إلى الرّب"⁽⁸⁾.

فالفارق واضح بين الملتجئ من خوفه إلى الرهبة والهرب، وبين من كان خوفه خشية وخشيته خوف وبها التجاء إلى الله، ويقول مالك بن دينار رحمة الله: "إذا عرف الرجل في نفسه علامة الخوف وعلامة الرجاء فقد استمسك بالأمر الوثيق، وعلامة الخوف مانهه الله عنه، فأما علامة الرجاء فهي العمل بما أمر الله به"⁽⁹⁾، أمّا ابن البرّ فقال: "من خاف الله ورجاه آمنه خوِّفه ولم يحرمه رجاءه، وقال وأنّ من خاف الله أخاف غيره، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء، وقال أبو علي الدقاق: الخوف على مراتب: الخوف والخشية والهيبة فالخوف على شرط الإيمان، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، [سورة آل عمران: الآية، 175]، والخشية من شرط العلم قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾، [سورة فاطر: الآية، 28]، والهيبة من شرط المعرفة في قوله تعالى: ﴿ويحذرکم الله نفسه﴾، [سورة آل عمران: الآية، 28]⁽¹⁰⁾.

ج- الخوف في الاصطلاح القرآني:

- 1- عرّف الألوسي الخوف حالة تعتري الإنسان عند الانقباض من شر متوقع (11)، عند تفسير هذه الآية لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. [سورة البقرة: الآية، 181].
- 2- وعرف الرازي فقال: غم يحصل بسبب مكروه متوقع حصوله في المستقبل (12)، قال تعالى: ﴿فَإِذَا خُفِتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، [سورة القصص: الآية، 7].
- 3- وقيل التحرز خوفاً من وعيد الله. لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾، [سورة الزمر: الآية، 16].

نقول إنَّ الخوف شعور فطري في الإنسان أوجده الله تعالى في نفوس البشر كلهم، ولا يخلو إنسان من هذا الشعور، ولكن هذا الخوف منه ما هو مشروع، ومنه غير مشروع فما هو الخوف الذي نعنيه واتخذه الصحابة منهجاً؟

الخوف الذي نعنيه هو الخوف من مقام الله، ذاك هو الخوف الذي يردع صاحبه عن اقتراف المنكرات وإتباع السيئات، ويرده بإذن الله إلى جنة الإيمان، فالخوف من مقام الله الذي جعله الله سبيلاً للتقرب إليه ونيل رضاه، نعم هذا هو مقام الصحابة الصفة الصديقين، لا الخوف المذموم خوف التباكي وتكلف التخشع ومطأطأة الرأس خوف كل كاذب منافق.

ومقام الله تعالى نقصد منزلته العالية، ولقد ورد الخوف من مقام الله تعالى في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع وهي:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾، [سورة الزمر: الآية، 40]. وقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾، [سورة الرحمن: الآية، 46]، وقوله تعالى أيضاً: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾، [سورة إبراهيم: الآية، 14].

من الواضح أنّ خوف المقام هو الخوف من عظمة الله سبحانه ومنزلته واطلاعه على عبده ومراقبته له بجبروته وسطوته، ممّا يجعل من نفسه حارساً على نفسه عند

ارتكاب المعصية، فيبتعد عنها ويعود إلى جادة الصواب. إذن الخوف من عذاب الله هو الخوف الممدوح الذي عليه يترتب آثار طيبة، تدفع بالمسلم إلى جادة العمل الطيب الصالح، والابتعاد عن كل ما يلوح له في طريقه من المنكرات.

فالعذاب هو الألم الشديد الذي يقع على النفس أو الجسد أو كليهما معاً، وعذاب الله سبحانه منهما كانفي الدنيا ومنه ما كان يوم القيامة، وأماما كانفي الدنيا فهو متنوع ومختلف وقد ذكره الله تعالى في قوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، [سورة العنكبوت: ٤١، الآية، 40]. وقوله تعالى أيضاً واصفاً ما نزل بقوم لوط: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سَحَابٍ مُمْسِكٍ * مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ﴾، [سورة هود: الآية، 82-83].

وقوله في ثمود قوم صالح: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ﴾، [سورة القمر: الآية، 31]، وقوله تعالى عن فرعون: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾، [سورة المزمل: الآية، 16]، وقوله تعالى في قارون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾، [سورة القصص: الآية، 81].

يتضح ممّا سبق أنّ الخوف المحمود هو ذلك الخوف المعتدل الذي لا يتعدى إلى اليأس والقنوط لقوله تعالى ذاماً للقنوط لأنّ القنوط يأس وهزيمة وإفراط في المخاوف: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنُطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾، [سورة الحجر: الآية، 56].

فالخوف المحمود هو ذلك الخوف الذي يرضاه الله ورسوله وصحابته الصفوة - رضي الله عنهم - أجمعين، فهم الصفوة الذين تخلّوا عن عبادة الاوثان، وناهوا عن حياة الجاهلية وأمنوا بالتوحيد، ورسالة النبي الكريم محمد -صلى الله عليه وسلم- فخوفهم كان معتدلاً بين الإفراط والتفريط، لأنّه هو الخوف الذي تُرجى ثماره، ويسعد صاحبه في الدنيا والآخرة، وينير دربه في حياته. وهذا دليل التقوى ومتى ما كانت

التقوى في الضمير كان الخوف اسبقهما، لماذا؟ لأنَّ الخوف قبل التقوى، وهو أصلها لأنه قوامه الإيمان، وهدفه رضی الله والجنة.

ثانياً- في إشارة إلى مفهوم الخوف عند الصحابة:

فكيف كان هذا الخوف؟ وهل كان معتدلاً؟ وما هي فضائله؟

خوف الصحابة هو ذلك الخوف المحمود الذي يرضاه الله ورسوله، لأنَّه الخوف الذي ترجى ثماره، ويسعد صاحبه في آخرته، لأنَّه ينير له طريق الحياة بإزالة كل ما يعيق طريقه إلى الله من المعاصي والذنوب. "فالمحمود منه ما حال بين صاحبه وبين محارم الله تعالى"⁽¹³⁾. فعلمهم بكرم الله تعالى لا يثنيهم عن الأمل فيه، ولا يقصر بهم عن رجائه، ولا حسن ظنهم به، ولا يقوى الخوف فيخرجهم إلى اليأس من رحمته لأجل علمهم بجبروته وكبريائه من قبل أنَّ المهوب والمحبوب، فمحبتة تؤنسهم وترجيهم، وهيبته ترعجهم وتخيفهم فيجتهدون في العمل⁽¹⁴⁾. وهو ما يفضي إلى المراد المقصود منه، وما يقتصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم⁽¹⁵⁾.

أ- إشارة إلى مفهوم خوف أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ومن خوف أبو بكر الصديق τ والذي تظهر فيه قمة التسامي والروحانية في أعلى مراتبها وأسمى معانيها.

كان أبو بكر إذا أكل طعاماً فيه شبهة، أي ليس من باب حلال، ثم علم به استقاءه من بطنه قائلاً: "اللهم لا تؤاخذني بما شربته العروق وخالط الأمعاء"⁽¹⁶⁾. وفي رواية أخرى أنه كان يقول: "والله لو لم تخرج إلا مع روعي لأخرجتها، وروي عنه كذلك أنه قال: لطائر: ليتني مثلك يا طائر لم أخلق بشر، وفي رواية أخرى طوبى لك يا طير تطير فتقع على الشجر، تأكل من الثمر ثم تطير ليس عليك حساب ولا عذاب"⁽¹⁷⁾.

يتضح لنا الأثر النفسي للخوف من الحرام ومظهره الخاص عند أبي بكر حين يحاول التخلص تماماً من كل ما دخل بطنه من أكل فيه شبهة، ذلك هو الخوف من الله مؤثراً في صاحبه، دافعاً له إلى العمل، كافياً إياه عن محارم الله، فأما إنَّ لم يؤثر

في العمل فوجوده كعدمه، فالصديق τ حياته كانت سائرة على نهج الكتاب والسنة، متأثراً بآياته، فعلم أنه إن أراد الله بخير لم يقدر أحد أن يرفعه عنه، وإن أراد بشر لم يقدر أحد أن يصرفه عنه غيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، [سورة يونس: الآية، 107].

وهكذا يؤمن أبو بكر الصديق بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وهو أصل من الأصول الإيمانية التي غرسها الرسول ρ في صحابته فلا يخاف من أمن بالقدر بخيره وشره حلوه ومره بيد الله واستكان واعتدل، وأحس براحة من الله وطمأنينة.

ومن مظاهر إقبال أبي بكر على مولاه وخوفه وتقواه، أنه كان يأخذ بطرف لسانه ويقول: "هذا الذي أوردني الموارد كما أنه استاء من ابنته عائشة حين لبست درعاً، وكانت معجبة به، فقد قالت -رضى الله عنها-: لبست مرة درعاً جديداً فجعلت انظر إليه وأعجبت به، فقال أبو بكر: ماتنظرين؟ إن الله ليس بناظر إليك، قالت: وممّا ذاك؟ قال: أما علمت أن العبد إذا دخله العجب بزينة الدنيا مقته ربه Y حتى يفارق تلك الزينة، قالت: فنزعته فتصدقت به، فقال أبو بكر عسى ذلك أن يكفر عنك" (18).

من الواضح وليس بغريب أن الله تعالى لقد وصف المؤمنين الكمل من عباده بصفات عديدة دالة على كمال دينهم وقوة إيمانهم وحسن معرفتهم بربهم وتمام حفاظهم على الإيمان في سورة من كتاب الله -عز وجل- اسمها «المؤمنون»، قال الله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَلَيْ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)، [المؤمنون: الآية 57-61]، فما أعظمها من نعوت وما أجّلها من صفات نعتهم الله بها، فذكرها حليّة لهم وزينةً وجمالاً فأوجبت تمام دينهم وكمال إيمانهم. فخوفهم نابع من الإيمان مصفاته الخشية ووسيلته التسابق في الخير والعمل به، ولأنّ الحياة كلها مباحج ومتع إلا أنه τ اختار التقوى

واليقين والتواضع طريقاً وشعاراً، فكان مفهوم الخوف عنده هو أخاف الله لأنه هو اليقين والتقوى الفرد الصمد.

ب- إشارة إلى مفهوم خوف عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تمسك عمر بن الخطاب بما فرضه الله عنه خوفاً من غضب الله وعقابه، وطمعاً في ثوابه وجنته. فأنطلق من أسس نذكر منها:

1- أداء فرائض الله تعالى. 2- اجتناب محارم الله.

3- الأمر بالمعروف ابتغاء ثواب الله. 4- النهي عن المنكر واتقاء غضب الله⁽¹⁹⁾.

فما امتاز به عمر؟ التمسك بالأشد من الطاعات واجتناب الشبهات، وقد عبرت عن ذلك حفصة بنت عمر حيث قالت لأبيها: "يا أمير المؤمنين لو اكتسبت ثوباً هو ألين من ثوبك، وأكلت طعاماً هو أطيب من طعامك، فقد وسع الله من الرزق وأكثر من الخير"⁽²⁰⁾، لكن أمير المؤمنين لم يوافقها على ذلك، بل عبر عن تمسكه بهذه الحياة أسوة برسول الله وصاحبه أبي بكر، فقال لها: سأخاصمك إلى نفسك، فما زال يذكرها حتى أبكاها فقال لها: أمّا والله لا شركنهما في مثل عيشهما الشديد لعلي أدرك عيشهما الرخي. فكان خوفهم نابع من صدق روحاني وحب رباني لله، ومن نافق عرف بنور بصيرتهم التي تفرّدوا بها، لما؟ لأنهم الصفوة. وهاهو عمر ينظر إلى شاب قد نكس رأسه فقال له: يا هذا أرفع رأسك، فالخشوع لا يزيد على ما في القلب، المعنى أنه من أظهر للناس خوفاً وخشوعاً فوق ما في قلبه، فأئماً أظهر نفاقاً على نفاق لأنهم أصحاب اعتدال وتوسط، وروي أنّ رجلاً تنفّس عند عمر بن الخطاب ط كأنه يتحازن فكلمه عمر لما؟ لأنّ التصنّع مكروه⁽²¹⁾.

يتضح ممّا سبق أنّ مفهوم الخوف عند عمر من ربه هو خوف صدق ويقين، خوف جعله تاركاً للدنيا وما حوته من شهوات واجتناب الشبهات، وخوفه من الله جعله الفاروق فكان لا يخاف لائمة الخلق عند انتصاب الحق ومحق الباطل.

وليس هذا وحسب فأمر المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كان يخاف النفاق على نفسه، وكان يسأل حذيفة -رضي الله عنه- هل ذكره رسوله

-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعَدَّهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ؟ وَكَانَ حَذِيفَةَ يُجِيبُهُ بِالنَّفْيِ⁽²²⁾. وَعَنْ خَوْفِهِ عِنْدَمَا قَرَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَوْلَهُ تَعَالَى: (إِنَّ عَدَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَّا لَهُ مِنْ دَافِعٍ) [سورة الطور: الآية، 7-8]، فَرِيَا مِنْهَا رِبْوَةً عِيدَ مِنْهَا عَشْرِينَ يَوْمًا⁽²³⁾.

وعن خوف عمر بن الخطاب من الله كذلك قال أنس رضي الله تعالى عنه :- دخلتُ حائطاً، أي بستاناً فسمعت عمر رضي الله عنه يقول، وبينني وبينه جدار: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، بخ، لتتقين الله ابن الخطاب أو ليعذبك⁽²⁴⁾. وها هو عمر - رضي الله عنه - يقول يا ليتني كنت كبش أهل يسمنوني ما بدا لهم حتى كنت كأسمن ما يكون زارهم بعض ما يحبون فذبحوني لهم فجعلوا بعضي شواء، وبعضه قديداً ثم أكلوني ولم أكن بشراً!⁽²⁵⁾. ذاك هو مفهوم خوف عمر، فمن خاف الله أمن كل مكروه، لأنه على بينة بأن الله ممتحنه. وكيف لا وعمر الفاروق القائل: "إنَّ لله عبداً يميئون الباطل بهجره، ويحيون الحق بذكره، رغبوا فرغبوا ورهبوا فرهبوا، خافوا فلا يأمنون، أبصروا من اليقين ما لم يعاينوه فخلطوه بما لم يزيلوه، أخلصهم الخوف فكانوا يهجرون ما ينقطع عنهم لما يبقى لهم، الحياة عليهم نعمة، والموت لهم كرامة فزوجوا الحور العين، وأخدموا الولدان المخلدين"⁽²⁶⁾. وليس هذا وحسب بل كان يعظ الناس بالحق فيقول: "زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا، فأنته أهورن عليكم في الحساب إذا أن تحاسبوا أنفسكم، وتزينوا للعرض الأكبر..."⁽²⁷⁾.

يتضح أنه من خاف ربه زان نفسه وحاسبها استعداد ليوم الحساب، ومن لم يحاسبها فإن الله لا تخفى عليه خافية، فخوف هؤلاء الصفة من الصحابة إذن كان قوامه الإيمان، وغايتهم من ذلك أن يكونوا في ظل الله، وفي مأمن من عذابه، وأنهم في كنف المحبة الإلهية وعدلها. وقدوتهم رسول الله ﷺ في ذلك وهو الذي كان من خشية الله وخوفه منه تدمع عيناه ويبكي في اشتياق ومحبة لله خوفاً وخشيةً منه، فقد جاء في الحديث عن ابن مسعود قال: قال: رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : "أقرأ على. قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل قال إني أشتي أن أسمع من غيري. قال فقرأت

النساء حتى بلغت: (فكيف إذا جننا من كل أمةٍ بشهيدٍ وجننا بك على هؤلاءٍ شهيداً). قال لي: كُفّ - أو امسك - فرأيت عينياه تذرفان" (28).

ج- إشارة لمفهوم الخوف عند عثمان بن عفان رضي الله عنه:

عثمان بن عفان رضي الله عنه: "هو ثالث القوم القانت ذو النورين والخائف ذو الهجرتين، والمصلي إلى القبلتين غالب أحواله الكرم والحياء، والحذر والخوف والرجاء، حظه من النهار الجود والصيام، ومن الليل السجود والقيام، مبشر بالبلوى، ومنع بالنجوى.."(29) وليس هذا وحسب، بل هو من حفر بئر رومية ليشرب المسلمون وجهاز جيش العسرة وفيه قال الرسول ﷺ: "ما على عثمان ما عمل بعد هذا"(30). وروى عنه أنه قال: "لولا أنني خشيت أن يكون في الإسلام ثملة أسدها بهذا المال ما جمعته"(31).

الواضح أن خوف الصحابة -رضوان الله عليهم- كان خوفاً نابغاً من تقواهم فهو حال تولد بداخلهم، فجعلوا منه حياة عملية تمارس فيها اتزان واعتدال وموازنة بين أمور الدنيا والآخرة، بمعنى أن الإسلام التزام بمنهج الاتزان والاعتدال بين الترغيب والترهيب حيث بشر الصالحين بالجنة، وأنذر العصاة بالعذاب يوم الحساب خوفهم ذلك دفعهم إلى عدم الوقوع في مفاتن الحياة الدنيوية والغرور بمفاتنها، فالخوف من المعصية والخوف من الموت، والخوف من نار جهنم يدفعهم حتماً إلى التسليم الكامل لإرادة الله.

فعثمان رضي الله عنه كان كثير الحياء والخوف لذا كان كثير المجاهدة لنفسه والتفكير في الله، والدأب على النظر في كتاب الله بحيث كان يقضي نهاره طوايماً وليله محيياً، بحيث لم يكن ليترك النظر في المصحف كل يوم، وهو يقول: "هذا كتاب ربي ولا بد للعبد إذا جاءه كتاب سيده أن ينظر فيه كل يوم ليعمل بما فيه" لذا نجده باكياً إذا وقف على القبر يبكي حتى تبتل لحيته ويقول: لو أنني بين الجنة والنار، ؟ لأدري أيتها يؤمر بي، لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير(32).

من يكون الناظر لكتاب ربّه والعمل به؟ هو القانت الساجد والحذر الخائف الذي يرجو رحمة ربّه كل حين، والقرآن الكريم هذا مبشّر ومنذر، وها هو عثمان مبشّر بالجنة، اختار أن يكون رماداً، لأنّه على علم بأنّ الله أعلم بما يصير إليه لا هو (أي عثمانؓ)، ولا يكون ذلك الخشوع إلا لصاحب النفس الراضية بقسمة الله وما أعطى. ليس هذا وحسب فعثمانؓ هو من نزلت فيه هذه الآية قال تعالى: (أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْأَخْزَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ) [المؤمنون: الآية 9]. هو الذي استشهد وهو يقرأ القرآن صاحب النفس الطيبة الراضية في موضع الآية: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [البقرة: الآية 137].

فهؤلاء الصفوة تميزوا بعبادة الله وحده، وأحبّوا ذلك بصدق وصفاء، وعن الحسن وقد سئل عن القائلين في المسجد -أي الذين يقضون القيلولة وقت الحر في المسجد- فقال رأيت عثمان بن عفان يقبل بالمسجد وهو يومئذ خليفة⁽³³⁾.

فكل متعيّد يلزم العبادة في وسط اعتدال يعم ليلاً عزلة ولابعد عن الناس، أي أنّهم عوّدوا النفس على القليل من متاع الدنيا الذي أحلّه الله تعالى، مقابل رضا الله ومحبهته، لذا وصفه أحدهم فقال عنه: "كان بالمال إلى رضا الله متواصلاً، وببذله لعباد الله متقللاً ولحظ نفسه منه متقللاً، وفي لباسه وتطاعمه متعللاً"⁽³⁴⁾.

يتضح أنّ الخير كله وهذا ما روي عن عثمان أنّه وجد في أربع: "التحبّب إلى الله بالنوافل، والصبر على أحكام الله، والرضا بتقدير الله، والحياء من نظر الله"⁽³⁵⁾. فالتحبّب والصبر والرضا والحياء كلهم نبعوا من تقوى ويقين وخوف إيماني، فكان مفهوم الخوف عنده هو حيأؤه من الله لخوفه منه ومن اتقاه تورع وخاف.

ح- إشارة لمفهوم الخوف عند علي بن أبي طالبؑ.

عليّ -كرم الله وجهه- عرف باسم ربّاني هذه الأمة، لم يعرف الشرك والكفر مطلقاً، ولم يشارك قريش في أعمال الجاهلية أبداً، بل لم يكن يعرف إلا الخير فقط، وتربّي في بيت النبوة،⁽³⁶⁾ تحدّثت كتب السيرة بإسهاب عن شجاعته وقوته وعلمه، فما يهمننا

في هذا الجانب هو خوف عليؑ، ولو بإشارة وهذا يتضح من خلال عبادته ومواعظه وما وصف به كرم الله وجهه.

طلب معاوية من أحد الناس أن يصف له علياً بن أبي طالبؑ، فكان ممّا قاله: كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا دعونا، ويرضينا إذا سألناه، لا يطمع القوي في باطل عنده، ولا ييأس الضعيف من حق يناله على يده، كان والله كثير اللوعة ويأنس بالله ووحشته، وأقسم لقد رأيته ذات ليلة وقد سكن الليل، وهو سكن يتململ تمللم السليم، ويكي بكاء الحزين ويقول: يادنيا غريّ غريّ، إليّ تعرضت أم تشوقت، هيهات هيهات قد باينتك ثلاثاً (أي طلقتك)، لا رجعة فيها بنعيمك وأجللك قصير، اه من قلة الزاد وطول السفر ووحشة القبور، لذلك يشتد بكأؤه وخوفه، ويقول: من طول الأمل وإتباع الهوى، فطول الأمل ينسي الآخرة، وإتباع الهوى يصد عن الحق، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فالיום عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل⁽³⁷⁾.

من الواضح أنّ مفهوم الخوف عند عليؑ تجلّى من نور إيمانه بريّه، ومن إيمانه بأنّ الدنيا ماهي إلا طريق لدار باقية ألا وهي الآخرة، لذلك روي عنه أنّه كان يوصي حكام الأقاليم بالتقشّف، فهو طريق التتعم في الآخرة، ولما أوصى بالتقشّف! لأنّه على يقين بأنّ ما عند الله هو الخير فبه الأُنس وبه القبض والخوف، فالأُنس من بسط الله عليه، والخوف لكونه ممتحن في هذه الدنيا، والعمر قصير والباقي هو الله.

وذات مرة سأله رجل عابد، وقال له صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم: فقال: المتقون من أهل الفضائل منطقتهم الصواب، ومشيتهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرّم الله، ووقفوا أسمعهم على العلم النافع... وخوفاً من العقاب عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم قلوبهم محزونة، وشروهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، صافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً، يحزنون به أنفسهم... قد براهم خوف بري القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى، وما بالقوم من مرض⁽³⁸⁾.

فلو قلنا ماهو الخوف الذي يؤكد عليه عليؑ؟ لقلنا هو خوف عبادة وهجر للدنيا، بمعنى لا أنس بها، بل صحبوها بأبدان والروح معلقة به شوقاً لرؤيته.

من الواضح وليس بغريب أن تكون مواظ عليؑ في قوله: "ليس الخير أن يكثر مالك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أساءت استغفر الله، و لا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل أذنب ذنباً فهو تدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات"⁽³⁹⁾.

فخوف عن علم بأن الله حق قوله الحق، وله الملك واستغفار عن ذنب وقع، ويزول بتوبة صادقه لا يأتي ذلك إلا عن نفس مدركة بأن الله نور ونوره يهدي النفس بعد ورعها وخوفها إلى السكون الراحة. الربانية ذاك هو الخير كله.

خ- إشارة لمفهوم الخوف عند أبي ذر -رضي الله عنه- وأبي ابن كعب، وعبد الله بن عوف رضي الله عنهما.

1- في إشارة لمفهوم الخوف أبي ذر الغفاري: فهذا أبوذر كان خوفه وليد تقواه، ومتى ما سكنت التقوى الجوارح كان القيام بالحق وترك المعاصي فقال: "والناس حوله أرايتم لو أن أحدكم أراد سفراً، أليس يأخذ من الزاد ما يصلحه فقالوا: بلى، قال: فسفر طريق يوم القيامة أبعد ممّا تريدون فخذوا ما يصلحكم قالوا: وما يصلحنا قال: حجوا حجة لعظائم الأمور وصوموا يوماً شديداً حره لطول النشور وصلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور"⁽⁴⁰⁾.

وقد صحَّ عن أبي ذر أنه قال: "أتيت النبي ﷺ عليه ثوب أبيض ثم اتيته فإذا هو نائم ثم اتيته وقد استيقظ فجلست إليه فقال: مامن عبد قائل لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق قال: وإن زنى وإن سرق ثلاثاً، ثم قال في الرابعة على رغم أنف أبيذر، قال فخرج أبو ذر وهو يقول وإن رغم أنف أبي ذر، وقال قتادة: إنَّ لله مقاماً قد خافه المؤمنون، وهو الرجل يهيم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها"⁽⁴¹⁾.

ممّا سبق يتبيّن أنّ مفهوم الخوف كما يراه أبو ذر هو أساس كل عمل صالح، والخوف منه هو التقى والهداية، ينير الدرب ويبعد المعاصي خلق تخلق به هذا الصحابي، فكان عنده المنهج والطريق الموصّل إلى الدار الفانية، وما الباقية إلا دار لعمل الخير والافتداء بأهله. دخل عليه رجل ذات مرة يقبّل الطرف في بيته فلم يجد فيه متاعاً، فقال: يا أبا ذر أين متاعكم؟!

فقال لنا بيت هناك (*) نرسل إليه صالح متاعنا. نعم أبو ذر الغفاري نهى على اكتناز الذهب والفضة خوفاً من الله، لأنّها جمر على صاحبها حتى ينفقها في سبيل الله، والذي نادى به انطلق من أساس واحد ألا وهو خوفه من ربه وتقواه وهذا ما عرضناه في بحث سابق لنا.

2- أبي ابن كعب: وأمّا عن " قوله ﷺ لأبي ابن كعب إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب). وسَمَانِي قال نعم فبكي" (42).

من الواضح أنّ صفوة الأحيّة -رضي الله عنهم- من كانت حياتهم حياة الخوف حياة الرجاء، آمنوا بمن كان أهل للخوف ربهم، لما؟ لكي يكونوا في أمن الله وسلامه في الدار الآخرة، وطلباً لرضا الله واتقاء سخطه. وكان منهاجهم القرآن دليلاً ونوراً. هم من كان كتاب الله يقرؤونه بحزن وخوف وتأمل، فهذه الآية مثلاً وغيرها ألا تهز قارئها فما بالك إن كان قارئها الصفوة من الصحابة -رضوان الله عليهم- قال تعالى: (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ أَمِينٍ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ لَا يُمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ نَبِيُّ أَبِي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) [سورة الحجر: الآيات، 43-44-45-46-47-48-49-50].

فمن الطبيعي أن يحرق الخوف من الله وخشيته موضع الدنيا من قلوبهم ويصهر تلك النفوس الطيبة ويصهر هواها، فترتقي في سلم العبادة بتقان وإخلاص وانقطاع إلى الله. ذلك هم الصحابة رضوان الله عليهم.

3- إشارة إلى خوف عبد الله بن عوف: روي عن البخاري أَنَّ عبد الله بن عوف: "أتى بطعام وكان صائماً، فقال: قُتِل مصعب ابن عمير، وهو خير مني كُفِن في بُردة، إن غطى رأسه بدت رجلاه، وإن غطى رجلاه بدا رأسه وأراه قال: - وقُتِل حمزة وهو خير مني، ثم بُسط لنا من الدنيا ما بُسط، أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا وخشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام"(43). فكان خوفهم من الدنيا المهلكة أن تفسد عليهم آخرتهم.

لذا كان مفهوم الخوف عند أبي بن كعب، وعبد الرحمن بن عوف كل ما ذكر الله تتجلى لهم عظمتهم فترق النفس لذلك، يتضح أَنَّ الخائف من ربه يبكي كل جسده لا عيناه وحسب كيف ذلك؟ نعم لأنه على إيمان بفناء الفانية الدنيا، وبقاء الباقية الآخرة، لقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَنْجَرَعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾، [سورة الحجر الآيات 15-16-17]، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ﴾، [سورة النحل: الآية 108].

ممَّا سبق يتضح أَنَّهُ بقدر ما بشر القرآن من نعيم للصالحين بقدر ما حذر من استدراج الغافلين عنه، فلا بد من إحياء القلب لأنه المسيطر على الجوارح، وهو الذي يسبب الدمعة الغاسلة للذنوب. لذا نجده يعبر عن الخوف من الله بقوله: "ما اغرورقت عين بمائها من خشية الله، إلا حرم الله جسدها على النار فإن فاضت على خدها لم يرهق ذلك الوجه قطر ولا ذلة، وليس من عمل إلا وله وزن وثواب، إلا الدمعة من خشية الله، فإنها تطفئ ما شاء الله من حر النار، ولو أَنَّ رجلاً بكى من خشية الله في أمة لرجوت أن يرحم بيكائه تلك الأمة بأسرها"(44).

ثالثاً- من فضائل الخوف عند الصحابة رضوان الله عليهم:

1- أَنَّهُم في مأمن من عذاب الله. لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يلج النار رجل بكى من خشية الله"(45).

يتضح أنّ الخوف لدى الصحابة أصله التقوى، وهو سابق عليها ولأنّ الخوف قبل التقوى وهو أصلها. فالتقوى التي أعد الله عزّ وجلّ الجنة لأهلها، تكون في انتقاء الشرك فما دونه من ذنب من كل ما نهى الله عنه، أو تضييع واجب ممّا افترضه الله. لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾، سورة النساء: الآية، [131]. وهي وصية الله تعالى في الأولين والآخرين قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، [سورة يونس: الآية، 62]. ذلك لأنّ التقوى إنّما كان أصلها الخوف والحذر من عذاب الله سبحانه وتعالى .

2- أنّهم في ظل الله يوم القيامة لقوله p: "سبعة يظلمهم الله يوم لا ظل إلا ظله رجل ذكر الله ففاضت عيناه"،⁽³⁶⁾. وهؤلاء هم المتقين لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾، [سورة الدخان: الآية 51].

3- أنّهم في كنف المحبة الإلهية.

قال ﷺ: "ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين قطرة دموع في خشية الله، وقطرة دم تراق في سبيل الله، وأما الأثران فأثر في سبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض الله"⁽⁴⁶⁾.

4- كان خوفهم خوفاً عن علم ويقين بأنّ حب الله وتقواه هو من أوجب الخوف منه سبحانه وتعالى.

من الواضح أنّ صحابة محمد ﷺ كانوا رواد في عقيدة التوحيد الصافي النقي، فكانوا نماذج صادقة لكل الأحوال الروحية التي حملوها عبر مقامات طوال ومن هذه الأحوال الخوف والرجاء والمحبة والشوق، فمن الخوف إلى الرجاء ومن الرجاء إلى مقام المطيعين المقرّبين فما أحوج مجتمعنا إلى مثل هذا الخوف، المحمود الهادف لكي يستقيم ويزدهر! متى ما استقام وردع النفس عن هواها! لقوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، [سورة هود: الآية 116،

الخاتمة: نخلص ممّا سبق إلى النتائج التالية:

أولاً- خوف هؤلاء الصفوة من الصحابة كان قوامه الإيمان، وغايتهم من ذلك أن يكونوا في ظل الله، وفي مأمن من عذابه، وأنهم في كنف المحبة الإلهية وعدلها. وقدوتهم رسول الله ﷺ في ذلك، وهو كان من خشية الله وخوفه منه، تدمع عيناه ويبكي في اشتياق ومحبة لله خوفاً وخشياً.

ثانياً- أن الخوف المحمود هو ذاك الخوف المعتدل الذي لا يتعدى إلى اليأس والقنوط لقوله تعالى ناهياً عن القنوط لأنّ القنوط يأس وهزيمة وإفراط في المخاوف: ﴿وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾، [سورة الحجر: الآية 56] وذاك الخوف الذي يرضاه الله ورسوله وصحابته الصفوة رضي الله عنهم أجمعين، وهو ما كان معتدلاً بين الإفراط والتفريط، لأنّه هو الخوف الذي تُرجى ثماره، ويسعد صاحبه في الدنيا والآخرة، وينير دربه في حياته. وهذا دليل التقوى، ومتى ما كانت التقوى في الضمير كان الخوف اسبقهما، فالخوف قبل التقوى، وهو أصلها لأنّ قوامه الإيمان، وهدفه رضى الله والجنة.

ثالثاً- من الواضح أنّ صفوة الأحبة -رضي الله عنهم- من كانت حياتهم حياة الخوف حياة الرجاء، آمنوا بمن كان أهل للخوف ربهم سبحانه، ليكونوا في أمن الله وسلامه في الدار الآخرة، وطلباً لرضا الله واتقاء سخطه. وكان منهاجهم القرآن دليلاً ونوراً.

رابعاً- أنّ الخوف لدى الصحابة أصله التقوى، وهو سابق عليها. فالتقوى التي أعدّ الله عزّ وجلّ الجنة لأهلها، تكون في اتقاء الشرك فما دونه من ذنب من كل ما نهى الله عنه، أو تضييع واجب ممّا افترضه الله تعالى.

خامساً- أنّ صحابة محمد ﷺ كانوا رواداً في عقيدة التوحيد أحدث الخوف فيهم من مشاهدة العبد لربه في عظمة وهيبة، فتثور أنفسهم وتسكن أرواحهم، أملاً للوصول للجنة بأمر الله، ولذلك فأخلاق الصحابة وأحوالهم رضوان الله عليهم خير منهاج

وطریق یحیی الفرد بہ نفسہ بالتشبع بقیمہ، وراذعاً للمجتمع من الوقوع فی الزنا والسرقة والقتل، وغیر ذلك من الآفات الاجتماعیة، فہم خیر اعتدال ووسطیة.

هوامش البحث:

- 1- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ص144، وأيضاً أنيس إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، القاهرة، 1960م، ص285.
- 2- الغزالي: إحياء علوم الدين، ج4، تحقيق: الشحات الطحان عيد المنشاوي، القاهرة، مكتبة المنصورة، ص215.
- 3- كامل عمر عبد الله: طريق المساكين في مرضاة رب العالمين، بيروت، 2004، مط1، ص50.
- 4- ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج2، تحقيق: محمد حامد، بيروت، دار الكتاب، 1973، ط2، ص519.
- 5- الذهبي: سيرة أعلام، ج5، حقه شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1980م، ط1، ص293.
- 6- الغزالي: إحياء علوم الدين، مصدر سابق ج4، ص155، وأيضاً القشيري: الرسالة : تحقيق معروف زريق، وعبد الحميد بالخير، بيروت، مؤسسة الرسالة، للطباعة والنشر، 1977م، ط3، ص126.
- 7- السويدي: منجد الخطيب: ج1، بيروت، دار الخير للطباعة والنشر 2000، ط1، ص439. وأيضاً، الزركلي، الإعلام ج3، بيروت، دار العلم للملايين، م1984، ط6، ص254.
- 8- دحلان إحسان محمد: سراج الطالبين شرح على منهاج العابدين إلى صفة رب العالمين م2، اندونيسيا، مكتبة أحمد بنسعد، ص237.
- 9- الشرقاوي: معجم ألفاظ الصوفية، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 1987، ص135.

- 10- ابن الأثير: الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء القطار فيما تضمنه الموطأ من معانى الآثار وشرح ذلك بالإيجاز والاختصار، ج1، توثيق أمين قلعجي، حلب، دار الوعي، 1993م، ط1، ص16.
- 11- الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن الكريم، والسبع المثاني، ج1/ م2، القاهرة، مكتبة النور للشرائح، ص55.
- 12- الرازي: التفسير الكبير، م5، طهران، ص66. وأيضاً: الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق محمد شاکر، مؤسسة الرسالة، 2000م، ط1، ص23-24.
- 13- عبد الرحمن غسان أحمد: محبة الله ورسوله في الكتاب والسنة، بيروت، دار ابن حزم، 2004م، ص463.
- 14- ابن عطية الحارثي: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد ج1، ضبطه وصححه عاصم إبراهيم، بيروت، دار الكتب الوطنية، 2005م، ط2، ص369.
- 15- المصدر نفسه، ج1، ص369.
- 16- الشعراي: الطبقات الكبرى، ج1، مصر، 1970، ص10.
- 17- الطوسي: اللع، دار الفكر، 1970، ص171. وأيضاً الغزالي: أحياء علوم الدين، مصدر سابق، ج4، ص183.
- 18- أبو العلا عفيفي: التصوف التورة الروحية في الإسلام، بيروت 1970، ص33. وأيضاً، أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء ج1، م1، مصر مطبعة السعادة، 1970، ط1، ص37-40.
- 19- المصدر نفسه، ص173-175.
- 20- ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج1، ط الهند، ص108.
- 21- المصدر نفسه، ج1، ص108. وأيضاً، ابن الجوزي: تلبیس ابلیس، بيروت، دار الكتب العلمية، ص290-291.

- 22- زكى مبارك: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، ج2، القاهرة، 1938م، ص10.
- 23- عبد الرحمن رأفت: حياة الصحابة، ج1، دار رؤية للنشر، 2019، ص693-695.
- 24- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ج11، دار الوطن 1994ص129.
- 25- الأصفهاني: حلية الأولياء، ج1، وأيضاً، ص52، كامل عمر عبد الله: طريق المساكين الى مرضاة رب العالمين، بيروت، دار ابن حزم، 2002م، ص34.
- 26- أبونعيم الأصفهاني: حلية الأولياء، مصدر سابق، ج1، ص55.
- 27- رواه البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن، حديث رقم 5055.
- 28- ابن الجوزي: صفة الصفوة ج1، بيروت، دار الفكر، 1992م، ص121 و أيضاً، سامى النشار: نشأة الفكر الإسلامي، ج3، مصر، دار النهضة، ص103-104.
- 29- أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء، مصدر سابق، ج1، ص55.
- 30- السراج: للمع، مصدر سابق، ص177-178.
- 31- المصدر نفسه، ص178.
- 32- تاريخ دمشق، بيروت لبنان، دار الفكر، م39 صص190، أبو العلا عفيفي: التصوف الثورة الروحية في الإسلام، مرجع سابق، ص21-22.
- 33- الاصفهاني: حلية الأولياء، ج1، ص58.
- 34- المصدر نفسه، ج1، ص58.
- 35- السراج: للمع، مصدر سابق، ص173-174.
- 36- الاصفهاني: حلية الأولياء، مصدر سابق، ج1، ص61-67.
- 37- علي بن أبي طالب: نهج البلاغة شرح محمد عبده، بيروت، لبنان، دارالاندلس، ص241-242.
- 38- الاصفهاني: حلية الأولياء مصدر سابق، ج1، مصدر سابق، ص62.

- 39- المصدر نفسه، ج1، ص81.
- 40- رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار، حديث154. وينظر: ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير: بيروت دار الكتب العلمية266-267.
- (*) الدار الآخرة
- 41- رواه البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب أبي بن كعب، ص275.
- 42- رواه البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، حديث رقم4045.
- 43- ابن الجوزي: صفة الصفوة، مصدر سابق، ج3، ص156.
- 44- الترمذي: سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله حديث رقم1683.
- 45- رواه البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب البكاء من خشية الله، حديث رقم6479.
- 46- الترمذي: كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله، باب ما جاء في فضل المرابط، حديث رقم1763. وأيضاً الطبراني: المعجم الكبير، حَقَّقَهُ عبد المجيد، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، حديث رقم7918.